قصة على مكتب .. ورسائل للجوري

استيقظت من نومي فإذا بالصباح لم يطل بنوره بعد .. نهضت كعادتي لأبحث عنه في كل حجرة؛ فإذا به منكباً على طاولة ومعه ورقة يكتب قصة، أخبرته أن لا وقت لدينا للكتابة فالزهور العطشى تنتظر منا قطرة ماء، قلت له متحججة لا حياة لنا إذا ما لم نسق الزرع، ثم إني لا يمكنني النزول وحدي للحديقة في هذا الوقت الباكر مما يتوجب عليك مرافقتي، أخبرني بكسل ودلال أنه لن يذهب؛ فدفعت إليه بمزيد من الضغوط والإلحاحات برفق لأحثه على تنفيذ مطلبي؛ كي لا ينسل إلى صدره إصراري؛ فييأس ويمل، أخذت أدفع بقبعتي الخوصية في رأسي، ثم رتبت فستاني الكلاسيكي المعقد أمام مرآتي، وانا أتابعه من خلفي، حيث أرى صورته من الخلف معي في المرآة، تململ قليلاً وحرك رقبته يميناً ويساراً ثم قال: "هيا"، حملت الأدوات وسقاية الورد وحمل هو بخاخة المبيد الحشري واجتهدنا السير، في البداية وقف للحظات قبل أن يخطو أول درج لأسفل الحديقة، وبعد نظرة عميقة منه للسماء، والماء، والأرض .. وقفنا خلالها ثواني معدودة .. تنهد بعمق، وأكمل الخطى، وأنا فقط أتتبعه؛ فكل ما يهمني هو مجيئه معي، بعد بضع خطوات مررنا على الجوري والياسمين الثمل بالندى

اللـذين لـم أشـعر بهمـا في وجـوده، تبادلـت معـه حـديثًا فارغـاً دونمـا انقطـاع وهـو يتجـاوب بكلمـاتٍ معـدودة، افتقـدنا خـلال سـيرنا هـذا الإحسـاس بـالزمن ونسـينا خطى أقـدامنا فاضحينا سحابتان تضببان طرقـات مجهولـة إلى ان غابـت الحديقـة عنـا على مرمى البصـر فصـرنا في ارض عـراء وشـمس متوهجـة .. تـاه صوته عني لبعض الوقت، ثم تنبهت لعدم وجوده، لم أجد له أثـراً في المكـان مـن حـولي، كـدت أبكي، بـل تماسـكت، وناديتـه بصـوت عـالٍ فلـم يـرد، انتـابني إحسـاس بالرعـب، تجمـع شـتات من الغرباء حولي، وحين سـمعوا مني بعضاً من قصتي .. تمنيت منهم المسـاعدة، ولكـن أخـذتهم الشـفقة للحظـات، وتعـاطفوا وتجـاوبوا معي خلالهـا، ثـم سـرعان مـا انخرطـوا في شـئونهم، وتجـاهلوني أجـد السـير وحـدي، فكنـت أسـمع أحـدهم يقـول: "المسـكينة لا تريـد أن تغـادر المكـان دونمـا سـيدها" .. شـعرت بوحـدة وخـوف؛ فحملـت فسـتاني مـن على سـاقي، وخطـوت بصعوبة، ثم سـرعان ما اطلقت سـاقي للريح دونما اشـعر بهما، فاجتزت الحديقة وهرولت إلى مكتبه لأجده منهمكاً في الكتابة في عـالم آخـر ولا يشـعر فيـه بـالآخر، وحـين لمحني نظـر إلى نظـرة طالت لبعض الوقت، ثم قال بنبرة تحمل الأسـف والتوبيخ: "أما زلتِ هنا؟!".

قلت: أجل.

قال: "ويحك لما لم تسقِ الزرع؟، ثم أنكِ إذا أبقيتِ الزهور عطشى، فأي حياة لكِ هنا؟!".

قلت له أعلم. ثم وقفت قليلا أمام مرآتي ألملم جدائل شعري التي انفرطت على كتفي، وأعدت من جديد ترتيب كل شيء. ثم حملت حقيبتي المعبئة بالأدوات والآلات على كتفي إلى الحديقة دونما أقص عليه ما كان أو أتفوه له بكلمة.

وفي الحديقة جثوت على ركبتي أمام حزمة الجوريات المتعانقة، فاحتضنتها برفق، وأخذت أبكي. ثم بللتها بقطرات من الماء وسقيت الياسمين كذلك، وقضيت بعض الوقت في التنظيف لأقضي اطول فترة ممكنة في وحدتي، ثم عدت منهكة الى درجات السلم، فارتميت عليه، وجلست مطرقة رأسي لأعلى، تأملت الشمس في السماء، بدت وهي تتوه في الأشجار حاملة أوراقها وأعناقها المزركشة، يتخللها رقة الجوري، وبعض القطع الملونة من ذاكرتي، مستمتعة بجمال اللوحة تلك التي بدت لي أجمل من الخيال، وهو لا يكف عن كتابة قصصه عنا، ومراسلة الجوري حتى أضحى اهتمامه بتلك المراسلات على حسابي، رغم أنه عبر فيها عن حبي الجنوني له.